

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 20 العدد 01 2024/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المتقف الديني

الوظيفة والصراع من اجل البقاء

**Religious intellectual
The role and the struggle for survival**

خالدي محمد*

المدرسة العليا لادارة الاعمال تلمسان - الجزائر -

khaldimouhamed26@yahoo.com

تاريخ القبول: 2023/11/19

تاريخ الاستلام: 2023/09/10

ملخص

نود في هذه الورقة البحثية مناقشة اشكالية المتقف الديني ذو المرجعية الدينية والذي فرض نفسه في الدفاع عن قضايا عرفتها المجتمعات العربية الاسلامية، عبر محطات تاريخية وصولا الى العصر الحديث حيث ساعده على ذلك التطور التكنولوجي المتسارع الذي عرفته البشرية خاصة في السنوات الاخيرة حيث ظهر تأثير المتقفين الدينيين في فضاءات مختلفة اهمها القنوات الفضائية وعبر مواقع التواصل الاجتماعية في مسائل متعلقة بالدين والمجتمع والسياسة وهو ما ادى الى بروز دور وتأثير رجال الدين على الراي العام.

كلمات مفتاحية : متقف ، رجل دين ، صراع

. Abstract

In this research paper, we would like to discuss the problem of the religious intellectual with a religious authority who imposed himself in defending issues known to Arab-Islamic societies, through historical stages up to the modern era, where he was helped in this by the rapid technological development that humanity has known, especially in recent years, where the influence of intellectuals has appeared. The two religions appeared in various spaces, the most important of which were satellite channels and through social

* المؤلف المرسل: خالدي محمد، الايميل: khaldimouhamed26@yahoo.com

networking sites, on issues related to religion, society, and politics, which led to the emergence of the role and influence of clerics on public opinion.

Keywords: intellectual , man of religion, conflict

مقدمة:

ان الحديث عن مفهوم المثقف يظهر عبر فترات زمنية متباينة حسب الوظائف والادوار التي من المفترض ان يقوم بها وسط البيئة التي يتواجد بها ، وبحسب الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تعتبر قضية المثقف والمثقفين قضية رائجة في ادبيات الدراسات الثقافية والاجتماعية والسياسية ، والفلسفية خاصة في السنوات الاخيرة وبالأخص في المجتمعات العربية التي عرفت وتعرف الكثير من التحولات والاحداث منذ انطلاق احداث ما يطلق عليه بالربيع العربي . لا يمكن الحديث عن المثقف والمثقفين الا في اطار بعدين اساسيين هما الانتاج المعرفي والتاثير الذي تحدثه هذه الشريحة في محيطها الخاص والعام.

ان الصدام الحضاري الذي وقع بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الغربية من خلال الاستعمار من جهة والعولمة من جهة اخرى ادى بالنخب المثقفة الى الانقسام الى فريقين يدافع احدهما عن ثقافة تقليدية مرجعيتها الدين الاسلامي ، ويدافع الفريق الاخر عن ثقافة حديثة مرجعيتها الحضارة الغربية . نود في هذه الورقة البحثية مناقشة اشكالية المثقف الديني ذو المرجعية الدينية و الذي فرض نفسه في الدفاع عن قضايا عرفتها المجتمعات العربية الاسلامية ، حيث ساعده على ذلك التطور التكنولوجي المتسارع الذي عرفته البشرية خاصة في السنوات الاخيرة حيث ظهر تاثير المثقفين الدينيين على القنوات الفضائية وعبر مواقع التواصل الاجتماعية في مسائل متعلقة بالدين والمجتمع والسياسة، وهو ما برز جليا في انقسامات رجال الدين من احداث الربيع العربي حيث ظهرت ثنائية مع النظام و ضد النظام والازمة السورية والليبية والمصرية ابرز مثال على ذلك، حيث لعب رجال الدين في تغذية الصراع السياسي والذي تحول الى صراع دموي بفتاوى سياسية ذات غلاف ديني مثل تكفير القرضاوي لبيشار الاسد ودفاع سعيد رمضان البوطي عنه ، ودفاع الداعية محمد حسان عن الرئيس محمد مرسي وتمجيم بعض رجال الازهر عنه ، وهو ما يبرز التاثير الذي يملكه رجل الدين على الجماهير باعتباره مثقفا مهتما بقضايا مجتمعه.

وبالتالي هل يمكن اعتبار رجل الدين مثقفا؟ ما طبيعة التأثير الذي يحدثه المثقف الديني في البيئة التي يعيش فيها؟ وهل اقتصر انتاجه المعرفي في الحقل الديني فقط؟
لا يمكن الحديث عن مثقف ديني والتاريخ والواقع يثبت انه لا ينفصل عقائديا ولا فكريا عن مؤسسة دينية لها ان صح التعبير (ديولوجيتها الدينية) وبالتالي هل يستطيع هذا المثقف القدرة على التفكير خارج صندوق المؤسسة الدينية؟

كلها اسئلة سنحاول الاجابة عنها في الاسطر التالية.

1- اشكالية تعريف المثقف:

ان الصعوبة في تعريف المثقف ودوره قد تختلف من مفكر لآخر بسبب صعوبة حصر من يدخل في دائرة المثقفين ، هذا من جهة ومن جهة اخرى لفظة مثقف بالعربية مشتقة من كلمة ثقافة اما باللغة الفرنسية او الانجليزية intellectual مشتقة من الذكاء .

يعتبر ظهور المثقفين في العصر الحديث حدث مميز صاحب التطور الذي وقع في المجتمعات الغربية خاصة في مجالات العلم والادب والفن ... حيث سمي هؤلاء مثقفين بالمحدثين . (محمد عبد الجابري ،2000،ص27)

تذهب الكثير من الدراسات الى اعتبار تعريف لفظة مثقف شيء معقد بحيث لا يمكن تعريفه بطريقة مجردة ، لانه وظيفة قبل ان يكون تعريفا . لكن هذا لا يعني انه لا توجد محاولات تعريفية، بحيث يرى ماكس فيبر ان المثقف هو الشخص الذي تمكنه صفاته الخاصة من النفاذ الى منجزات لها قيمة ثقافية كبرى ، كما يرى بارسونز ان المثقف هو الشخص المتخصص في امور الثقافة.

كما ذهب بومبور الى اعتبار المثقفين جماعة صغيرة مهمتها نقل ونقد وابتكار الافكار مثل الفنانين والفلاسفة والعلماء وغيرهم.(حيدر محمد علي ،2004،ص125)

تتقاطع كل الدراسات وتجمع على ان كل الابحاث المتعلقة بمفهوم المثقف l'intellectuel انه ظهر بفرنسا مع ما يعرف بقضية دريفوس وهو ضابط في الجيش الفرنسي الذي ادين بتهمة تسريب معلومات عسكرية لصالح المانيا مما ادى الى نفيه الى احدى الجزر البعيدة. (محمد الشيخ ،1991،ص15)

فبمجرد الاعلان عن محاكمته بادرت بعض الجماعات المعادية لليهود عبر حملة مكثفة في الصحف الموالية لها الى اعتبار دريفوس نموذجا لليهودي الخائن الذي لم ينخرط في الجيش الفرنسي الى من اجل الخيانة ،

لكن بالمقابل بادر بعض اصدقائه وابنائهم الى بيان براءة دريفوس والمطالبة بمحاكمة المجرمين الحقيقيين. (محمد الشيخ، 1991، ص17)

من خلال انتشار خير هذه الحادثة في المجتمع الفرنسي عرفت الحياة الثقافية الفرنسية ظاهرة جديدة ، وهي نزول الادباء والمفكرين الفرنسيين الى الشارع بشكل مكثف حيث تأسست سجلات عنيفة امتدت الى ساحات السوربون ، في ظل هذه الظروف يظهر اول بيان في تاريخ الفكر الغربي وقعه مجموعة من رجال الادب والفكر تسمى جماعة المثقفين وكتبوا "بيان المثقفين le manifeste des intellectuels المنشور في يناير 1898 بجريدة الفجر حيث جاء فيه " ان الموقعين اسفله يحتجون ضد خرق الاشكال القانونية لمخض سنة 1894 ويحتجون على التعميمات المحيطة بقضية دريفوس ، ويلحون على مراجعة الحكم الصادر في حق الطابط دريفوس".

كان من بين الموقعين اسماء ادباء ومفكرين كبار مثل اميل زولا واناتول فرانس ومارسيل بروست... ويعتد هذا البيان شهادة ميلاد المثقف. (محمد الشيخ، 1991، ص17)

2- في اصناف المثقفين:

عند الحديث عن تصنيف المثقفين فإننا نجد انفسنا تائهين بين تاريخ وحاضر هذه الفئة بحيث كل الدراسات التي حاولت تصنيف المثقفين اعتمدت على معايير مختلفة ، فمع كل تطور اجتماعي ومجتمعي تظهر للوجود تصنيفات متعددة فاذا اردنا ان نجتهد في وضع تصنيفات للمثقفين بنظرة كرونولوجية ، فالتاريخ حافل بنشاط الفلاسفة والادباء ان صح وصفهم بالمثقفين الكونيين ثم مع ظهور الديانات السماوية ظهرت فئات اتخذت من الدين كمصدر واساس لنشاطهم وهؤلاء انقسموا ايضا الى تصنيف انفسهم من خلال ادوارهم وهنا تجدر الاشارة الى علماء البلاط واخرون توردوا على السلاطين مثل ابن حنبل في قضية خلق القران وما تعرض له من محنة شديدة .

ومع التدرج التاريخي ووصولنا الى ازمة حديثة لعبت الايديولوجيا والانتماء دورا بارزا في ظهور اصناف جديدة من المثقفين مثل المثقف الشيوعي والمثقف الراسمالي المثقف الديني والمثقف العلماني ، كما ظهر ما يسمى بالمثقف العصامي مثل المفكر عباس محمود العقاد وغيره وما قابله من مثقف اكايمي الذي ينشط في الجامعات والمؤسسات البحثية ، زيادة على ذلك مع التطور التكنولوجي وتطور وسائل الاعلام والاتصال

ظهرت فئات او اصناف جديدة من المثقفين مثل هؤلاء الذين ينشطون في الكثير من القنوات التلفزيونية وبالتوازي معه ظهر ان صح التعبير المثقف الافتراضي الذي يتواجد على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من منصات العالم الافتراضي.

بالرغم من كل هذا الكلام عن هذه الاصناف الا انه لا يمكن الاستغناء عن بعض التصنيفات الكلاسيكية المهمة والاساسية التي اهتمت بهذا المجال منها تصنيف غرامشي الشهير حيث تعتبر هذه المقاربة الوحيدة تقريبا التي يتوحد حولها الكثير من المفكرين حول المثقف من حيث الكفاءة التحليلية التي وظفها غرامشي في تصنيفه للمثقفين.

اعتمد غرامشي على ثنائية المثقف التقليدي والمثقف العضوي كطرح منهجي لفهم وظيفة المثقف في المجتمع، حيث اعتبر ان المثقفين التقليديين كانوا في الاصل مثقفين عضويين لطبقات اجتماعية سابقة سادت في زمن معين وفي مجتمع معين وداخل نمط انتاج معين ، هذا الصنف حسب غرامشي مهموم بأمجاده وماضيه وطبقته ووظيفته ، اكثر من اهتمامه بإعادة تشكيل تصوراته حول العالم. وبالتالي يعاني المثقف التقليدي من النرجسية الزائدة في الوعي، التي تتصور نفسها هي المسيطرة والحاكمة.(حيدر محمد علي،2004،ص156).

اما المثقف العضوي حسب التصور الغرامشي هو مثقف ايدولوجي ينطق باسم الجماعة التي ينتمي اليها، مهمته التنظير للهيمنة الثقافية لادولوجية الطبقة او الحزب مثل المثقف ذو الانتماء البورجوازي او الاشتراكي.(علي المرهج،2018)

3- المثقف وجدلية الدور والوظيفة:

من خلال الادبيات التي تطرقت الى محاولة اعطاء تعريف دقيق يلم بمختلف جوانب مفهوم المثقف وتحديد اهم الوظائف التي يفترض ان يقوم بها وخاصة المثقف الديني فان المثقف بكل بساطة هو من يشتغل بعالم الفكر و الثقافة في حقل من الحقول المعرفية ومن يهتم بما يقع حول من ظواهر واحداث في المجتمع الذي يعيش فيه او في مجتمعات اخرى ، من جهة اخرى لا يمكن ان يبقى المثقف يعيش وهم الطوباوية ويتوقع على نفسه ومع فكره وبالتالي عليه ان يناضل ويمارس ما يعتقد ويؤمن به من افكار.

إذا كما ذهب الجابري لا يمكن لأي مثقف أن يفكر من الصفر فإذا كانت المعرفة التي يحملها المثقف من أفكار أو مفاهيم و نظريات قديمة أو حديثة فإنها تتم وفقاً لمرجعية ثقافية أو معرفية معينة. (محمد عابد الجابري، 2000، ص7)

فلنعد مثلاً إلى المثقف الديني في حضارتنا الإسلامية في عصورها القديمة حيث نشأ في محيط أمي كما وصفه القرآن الكريم هذا المحيط الذي كان يقدر الكلمة فمع ظهور الإسلام كدين سماوي أعطى لعالم الدين موقعا مهم بآيات واحاديث جعلت العلماء ورثة الانبياء، وكان المجتمع على استعداد للأصغاء والتصديق، فرجل الدين باعتباره مثقفا يمارس وظيفة مقدسة في نظر أفراد المجتمع فهو من يعلمهم دينهم وديانهم، وهو من يفصل لهم بين المباح والمحرم ومن هنا احتلوا وظيفة استراتيجية ذات بعدين ديني ومدني . (عبد الاله بلقزيز، 2000، ص23)

بالرغم من ذلك الدور المهم والاساسي انقسم رجال الدين الاسلامي الى مرجعيتين فكريتين ، واحدة تستند الى النقل والآخرى مرجعيتها العقل، وكل واحدة تدعي بامتلاكها الحقيقة الدينية المطلقة، ولازال هذا الصراع متوارثا الى اليوم بحيث كل مرجعية لها اساسها الفكري ويتجسد ذلك في التيار السلفي والتيار الحدائثي في كثير من القضايا المطروحة اليوم خاصة المستجدات الفكرية العلمية .

وابسط مثال على ذلك قضية كروية الارض وما يثار من جدال حولها بين الكثير من رجال الدين والفقهاء والمفكرين الاسلاميين، حيث يذهب التيار السلفي الى نفي كروية الارض بالاستناد على نصوص شرعية والى مراجع بعض شيوخ السلفية، في حين يتحجج التيار الاخر من مفكرين اسلاميين بالنظريات العلمية الحديثة، هذا ما يجعلنا تاريخيا الى قضية غاليلي مع رجال الكنيسة.

فلاحظ ان اشكال الصراع بين المثقفين في مجتمعاتنا العربية الاسلامية تتجدد في كثير من الفترات الزمنية و بأشكال متعددة.

ففرق من المفكرين يجد نشوته بالرجوع الى الوراثة والحنين الى الماضي ،ماضي الاسلاف وفرق يحقق ذاته في الانبهار بمقومات الحضارة الغربية المتطورة. بحيث تسيطر هذه النزعة الانقسامية على تاريخ وحاضر النخب في عالمنا العربي المعاصر سواء كانوا دينيين او غير دينيين.

قد يكون المثقف طوباويا او عضويا ،ثوريا او اصلاحيا ، قوميا او امميا ، اختصاصيا او شموليا، متفرغا لمهمته او غير متفرغ ،وقد يكون شاعرا او كاتباً او فيلسوفا ،او عالما او فقيها ، او مهندسا او اي صاحب مهنة

او حرفة او صناعة... تبقى وظيفته الاساسية الاهتمام بتوجيه الراي العام والدفاع عن قول الحقيقة ومصالحة الامة ومستقبل البشرية.

والمتقف باعتبار ان لديه سلطة الكلام والكتابة من خلال الانتاج المعرفي يمكنه التصرف بوصفه يمثل الريادة وينتمي الى النخبة الممتازة .

المتقف كائن يجيا وسط الازمة يهتم بشؤون الحقيقة والحرية والعدالة... هذا هو دوره منذ ان تكون نمطه وتشكل مفهومه ، من فولتير الذي كان يقول:

اخالفك الراي ولكني اقاتل دفاعا عن حريتك في التعبير عن رايك ، الى سارتر الذي كان يتصرف بوصفه الشاهد على عصره او الناطق بمموم مجتمعه ، او من

محمد عبده وغيره من دعاة الاصلاح والتجديد في عصر النهضة (علي حرب، 2004، ص39، 38)

اعتمد بيير بورديو في محاولته اعطاء تصور لوظيفة المتقف على مجموعة من الاعمال ومجموعة التجارب حيث يستخدم مصطلح المتقف الاكاديمي لوصف دوره بانه مفكر غير معزول بل هو فاعل اساسي في عالم المعرفة ويشترك مع غيره ممن ينشطون في مجال البحث في انتاج المعارف العلمية (patrick) champagne . (2004,p191).

ومنها يمكن القول ان المتقف مهما كان صنفة او توجهه او اديولوجيته ومدى تأثيره في محيطه ومجتمعه تبقى قيمته في الوظائف والادوار التي يقوم بها .

4- المتقف الديني والارث التاريخي وشرعية الاستمرار:

يرى غرامشي من خلال تحليله للدين المسيحي وبالأخص المذهب الكاثوليكي كمذهب يقوم بوظيفة ايدولوجية من خلال المؤسسة الدينية "الكنيسة" التي يديرها مثقفون عضويين هم الاكليروس "رجال الدين" بهدف نشر واذاعة وتحقيق هيمنة الايدولوجية الكاثوليكية وسط اذهان الجماهير المؤمنة عن طريق اجهزة الكتلة الايدولوجية للمذهب الكاثوليكي مثل الاحزاب السياسية المسيحية ، النقابات ، الجمعيات ، وسائل النشر والطبع ... (عمار بلحسن، 1984، ص20)

تحيلنا هذه الفكرة الى جدلية الدين والسياسة والتحالف بينها من خلا التوظيف السياسي للدين في فترات زمنية اما بمبررات شرعية تعتمد على النصوص المقدسة او من خلال مبررات مؤسساتية اساسها هو النفس

وحبها واندفاعها نحو السلطة والسيطرة وفي بعض الاحيان نزوة المصلحة وهو ما وقع في العصور الوسيطة في اوربيا حيث تم التحالف بين الكنيسة والاقطاعية حيث استفاد رجال الكنيسة من امتيازات روحية و اقتصادية.

ان الفلاسفة ورجال الدين هؤلاء المثقفون الذين يقدمون انفسهم ويصورون ذواتهم على انهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية ويؤكدون في خطاباتهم وتصوراتهم على كونهم استمرارية تاريخية لعصور الفلسفة الذهبية ورجالها كسقراط وافلاطون وتواصل خالدا ودائما للسيد المسيح والنبي محمد "ص" هؤلاء يسميهم غرامشي مثقفين تقليديين. (عمار بلحسن، 1984، ص43)

ان المثقف الديني يعيش ازمة راهنة حسب التحليل الغرامشي بحيث يرتبط هؤلاء المثقفون بطبقة في طريقها الى الزوال ، وبالتالي يعيشون في حطام ثقافي اجتماعي ناتج عن انفجارات تاريخية سابقة وماضية، مثل رجال الكنيسة والفقهاء الذين يعيشون في مجتمعات لم تعد تؤمن بالتفسير الغيبي. (عمار بلحسن، 1984، ص44)

وبالتالي يعيش المثقف الديني في حاضرا ازمة اثبات النفس باعتباره ممثلا لقداسة القضية التي يحملها (العلماء ورثة الانبياء) فتراه يفعل المستحيل للأقناع واحتلال الشرعية في منابر مختلفة ولو كانت افتراضية كما في وقتنا الحاضر بالرغم من انه لا ينتج شيئا جديدا الا تبرير المستجدات بفتاوى الاسلاف رغم مرور القرون واختلاف البيئية.

لا بد من الاشارة الى وجود اختلاف بين صورة المثقف ما بين الحضارة الاسلامية والغربية. فمثقف الحضارة الاسلامية كان مثقفا دينيا بطبعه وطبيعته يتخذ من الدين مرجعيته ونظاما فكريا يستند عليه في بناء تصوراته واستنباط افكاره ، في التعامل مع ثقافات الاخرين ويصدق هذا الوصف على كثير من الاسماء التي وصلتنا في الحضارة الاسلامية مثل الكندي ، والفراي ، وابن سينا وابن رشد ، والبيروني ، وابن طفيل ، وابن خلدون وغيرهم وهؤلاء اقرب فئة الى المثقفين في التاريخ الفكري للحضارة الاسلامية..

في حين ان مثقف الحضارة الغربية هو مثقف بطبعه وطبيعته غير ديني وليس معنيا بالعلاقة مع الدين في تعامله مع الافكار والمفاهيم والتصورات ، والى هذا النموذج الغربي ينتمي مثقف العالم المعاصر، بما في ذلك مثقف العالم العربي والاسلامي وهو المثقف الذي تقلصت علاقته مع الدين الى درجة تكاد تنعدم. (زكي الميلاد، 2012، ص8)

خاتمة:

يمكن القول في نهاية هذا التحليل لمفهوم ودور المثقف والمثقف الديني بالخصوص، ان هنالك تباينات بين العديد من الرؤى والتصورات حول المفهوم بحث يصعب حصر المتغيرات والابعاد التي ينضوي تحتها معنى مثقف بالرغم اجماع الكثير من المهتمين بالموضوع على تحديد ثلاث ابعاد اساسية لا بد ان يتحقق على الاقل بعض منها في نشاط المثقف وهي التأثير في المحيط ، والانتاج المعرفي مهما تعددت نشاطات المثقف سواء كان عالم دنيوي او ديني ، بالإضافة الى الممارسة او الالتزام. هذا من جهة ومن جهة اخرى عند الحديث عن المثقف الديني والادوار المنوطة به فهو عبر مراحل التاريخ في صراع كبير مع اثبات وجوده وبقائه من خلال ممارسات تهدف الى الحفاظ على مكانته بالاستناد الى مرجعيته الروحية او الى نسج تحالفات مع قوى فاعلة في المجتمع في غالب الامر تكون تحالفات سياسية. يتم التهميش وفقا لطريقة APA

قائمة المراجع

- 1- حيدر محمدعلي، 2004، اشكالية المثقف عند غرامشي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بغداد.
- 2- زكي الميلاد، 2012 محنة المثقف الديني مع العصر، المركز الاسلامي الثقافي، لبنان.
- 3- عبد الاله بلقزيز، 2000، نهاية الداعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- 4- علي حرب، 2004، اوهام النخبة او نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 5- عمار بلحسن، 1986، انتلجنسيا ام مثقفون في الجزائر، دار الحدائث للطباعة والنشر، لبنان.
- 6- علي المرهج، 2018، من هو المثقف العضوي، <https://al-aalem.com/article/4712>
- 7- محمد عابد الجابري، 2000، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 8- محمد الشيخ، 1991 المثقف والسلطة، دار الطليعة، بيروت.